

نكبة فلسطين وسنوات العرب العاجف

وائل المصري

لم يعد أحد يلتفت لعدوم ذكرى نكبة العام 1948 م ورحيلها إلا الشعب الفلسطيني الذي عانى من فصولها ولا زال يقف على خط المواجهة الوجودية مع دولة الكيان الإسرائيلي، فواقع الحال في المنطقة العربية يحرف الاهتمام العالمي بما فيه العربي إلى قضايا أخرى ما كان يجب على أهميتها أن تقفز على قضية العرب والمسلمين المركزية.

تمر الذكرى الـ65 للنكبة الفلسطينية على وقع تراجع عربي عام ثُوج بإعلان حكامنا أطال الله أعمارهم قبولهم لتعديل المبادرة العربية للسلام التي لم توافق عليها "إسرائيل" سابقاً ثم لم توافق على التنازل الجديد المتعلق بتعديل المبادرة القديمة.

الرد الإسرائيلي اتجه إلى ثلاثة محاور الأول عسكري عبر قصف سوريا وزيادة الاعتداءات في الضفة والقدس وخرق للهدنة في غزة، والثاني سياسي عبر ما تداولاته وسائل الإعلام من سفر لوزيرة العدل الصهيونية "تسبي لييفني" إلى أمريكا لإبلاغ صناع القرار هناك برفض دولة الاحتلال رسميًا للمبادرة الجديدة، والمحور الثالث كان إعلامياً عبر ما نشرته وزارة الخارجية الصهيونية من افتتاح مماثلة لها في إحدى دول الخليج خلال العامين الأخيرين.

للحقيقة لم يكن مفاجأة أبداً أن تعلن دولة الاحتلال عن افتتاح مماثلة لها في دولة عربية، بل إن الإعلان كان بمثابة التبرير المنطقى لرفض "إسرائيل" للطرح العربي الجديد حيث أنها تتمتع أصلاً بعلاقات جيدة سواء سرية أو علنية مع عدة دول عربية فما الداعي لأن تقدم هي تنازلات للحصول على شيء قد استحصلت عليه سابقاً؟! فتاريخ بعض الأنظمة والقيادات العربية التي هكذا بعضها يثبت أن أياديهم كانت تتضاحف بحرارة مع قادة الاحتلال من تحت الطاولة في الوقت الذي كانت تهدر فيه أصواتهم بكل الشعارات الوطنية والعدائية تجاه "إسرائيل" من فوقها.

وللتدليل على ذلك لنا أن ننتقل إلى شرق فلسطين المحتلة حيث الملك الذي وافته المنية عام 1999 م يعترف في مذكراته التي تركها قبل وفاته بأنه ساهم في منع العمليات الفدائية انطلاقاً من أراضيه تجاه "إسرائيل"، دون إغفالنا عن ذكر توقيعه لاتفاقية سلام مع دولة الاحتلال في أوائل تسعينيات القرن الماضي، وقبل ذلك ما اعترف به قادة الاحتلال وبات معروفاً لاحقاً بأنه أبلغهم عن هجوم مصرى_ سوري وشيك لتحرير سيناء والجولان قبل أقل من شهر على حرب أكتوبر 1973 م.

وغير بعيد عن أجواء حرب أكتوبر 1973 م وما تلاه من زلزال سياسي عندما أعلن رئيس مصر بعد الحرب بسنوات عن اعتزامه زيارة "إسرائيل" لإحلال السلام في المنطقة، لتنقل إلى السودان حينما أيده رئيس السودان حينها في مسعاً معيناً أمام وزرائه رغبته في استباق الزعيم المصري للسفر إلى "تل أبيب" لتطبيع العلاقات بين السودان ودولة الكيان إلا أن رفض كل وزرائه لاندفاعه حال دون تنفيذ رغبته حتى جاء موعد الخلاص من ذلك الزعيم عندما انقلب عليه وزير دفاعه "عبد الرحمن سوار الذهب" الذي زار غزة مؤخراً برفقة الشيخ يوسف القرضاوى لتعود السودان قيادة وشعباً منحازاً انجيازاً خالصاً للقضية الفلسطينية.

انتقالاً من السودان ومصر إلى الغرب حيث أحد ملوك العرب في أفريقيا الذي توفي عام 1999 م وما أعلن عنه الساسة في دولة الكيان عرفاناً له عن إسهاماته في تهيئة السلام بين مصر و"إسرائيل" وتسهيله لعمليات هجرة اليهود من بلاده إلى دولة الكيان، وهو الذي في عهده باتت مملكته أحد دولتين عربيتين تعترفان رسمياً بالمسؤولية التي أقامت آخر اجتماعاتها العالمية في عاصمة تلك المملكة في مايو من العام الماضي 2012 م.

وقفزا سريعاً إلى لبنان عندما تولى أحد الكاثوليك المعروفين رئاسة الجمهورية اللبنانية حيث تم توقيع اتفاقية 17 أيار بين لبنان و"إسرائيل" برعاية أمريكية كانت مقدمة لا عتراف لبناني بدولة الاحتلال، إلا أن الانفاق لم يصمد سوى بضعة شهور حتى أجرت القوى الوطنية اللبنانية بدعم الجارة سوريا الرئيس اللبناني حينها وبرلمانه على إلغاء الاتفاقية كرهاً لا طوعاً.

وعن دول الخليج فالحدث عن ممثليات وقنصليات اقتصادية كانت أم غير ذلك لم يكن وليد اليوم بل كانت إحدى الدول تفتح لها قنصلية وقامت بإغلاقها بعد الحرب على غزة 2009 م، ثم ما نشرته وسائل الإعلام الصهيونية قبل عام عن طلب أميرة في دولة خلنجية أخرى العلاج من مرضها في إحدى مستشفيات "تل أبيب" دونا عن سواها من الدول المتقدمة، وقد بلغ كرمها السخي بقرارها بناء مشفى خاص في "إسرائيل" في الوقت الذي تماطل فيه معظم دول الخليج في دفع المستحقات المقررة عليها تجاه فلسطين.

تاریخ حافل بالآلم والمهانة العربية التي سطراها الحكام دونا عن رغبة الشعوب التي بقي ضميرها مستيقظاً تصرخ هناجرها لفلسطين كما تصرخ لأوطانها.

65 عاماً على النكبة والخوف الآن من مؤامرات القيادات العربية على القضية الفلسطينية بمبادرةاتهم العبثية وتنازلاتهم السخية التي لن ينتج عنها سوى المزيد من التعتن الصهيوني والعربدة المستندة إلى صمت عربي مطبق وتحالف سري بين بعض أنظمتها ودولة الكيان.